



عمر الفاروق في مجلسه بمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقضي بين أبناء الملة العادلة بحكم الله العادل، وعلى الباب شاب من عامة أهل مصر ينادي يا أمير المؤمنين جئتك عائداً مستجيراً، فيجيبه عمر قائلاً: لقد عذت بمجير فما شأنك؟

وينطلق لسان المظلوم بشكواه من ابن والي مصر، عمرو بن العاص، الذي أنف أن يسبقه شاب من عامة الناس، فيجلده بالدرة، ويحبسه، وينفلت السجين المظلوم إلى المدينة المنورة يتلمس العدل عند الفاروق،

ووالله لقد عاد حقاً بمجير، ويرسل عمر في طلب واليه على مصر وولده، فيقدمان عليه، ويتيقن عمر أن ابن واليه قد استطاع رعية ائتمن عليها أبيه، فيأمر المصري بضرب المعتمدي كما فعل واعتدى، ويضرب المصري ابن عمرو حتى أخذ حقه، ويلتفت عمر إلى المصري قائلاً: ضعها على ضلع عمرو، وكأنما سرت روح العدل من الأمير إلى رعيته.

فيقول: يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني، ويلتفت عمر الفاروق إلى واليه لائماً ويقول: {متى استعبدتم الناس وقد ولتهم أمهاتهم أحراراً} تلك مقوله الفاروق، ظلت أنشودة الأمة بأسرها، وانطلقت لتصبح شعراً يتربّد على أفواه المقهورين، ووائف المستعبدين في الأرض، وهي ترفض أن تكون رهينة العبودية، أسيرة المذلة والقيود والاستعباد [نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله]

وتحضر هذه المقوله بكل صدقها وعنفوانها ورحمتها، وتتوارد على أذهاننا هذه الأيام، ونحن نرى الأمة تتلمس السبيل لاستعادة كرامتها المفقودة، ومكانتها المعهودة، وحريتها المنشودة، وقد تمادى الطغاة في إذلال أحرارها، والصالحين من أبنائها، واستطاع أشرارها على خياراتها، ساعين إلى محو مقومات وجودها لضعفها وإنفائها، استجابة لأوامر ومحاربات أعداء الأمة، ومن ابتليت بهم على مر التاريخ، تلك الأمم التي آلت على نفسها ألا تدع للإسلام وجوداً ولا حكماً، ولا لأمته بقاء ولا شاهداً من حضارة أو تميز أو خيرية أو تشريع.

ولكن هيات لهم [يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون].

وهكذا تتحدم الحرب، ويشتد أوارها يوماً بعد يوم، بين شعوب عزاء عيل صبرها وهي تنتظر ولادة عهد جديد تشرق فيه

شمس الحرية، وتنالق فيه حصائد الوعود، سنابل خيرات، وانهار عدل وسکائب عزّة، وأنظمة مسيرة مستبدة، وتمضي السنون على الوعود المنهالة من أهل الحل والعقد، المتمكنين من رقاب العباد، ومقدرات البلاد، فإذا الوعود سراب زائف، وإذا العدل ظلم مجحف، وإذا أحلام الحرية العذاب في مصر نار وعذاب وغدر وانقلاب، لتقويض نهضة بلد اكتوى طوال قرن من الزمان بنار التسلط والإفقار والإذلال، من حكام تتبعوا عليها وقد حولوها إلى مزرعة خاصة يبيعون فيها ويشرون، ويحصدون جناها وكسبها ويكتنون.

وإذا حرية حلم بعيد المنال، فلا يبقى لهم إلا الاحتجاج السلمي على ما يحدث في بلادهم من نهب وإجحاف، واستعمار واستبداد، وأن الفرعون لا تأخذ بالعدل نهجا ولا بالشرع حكما، فمن الطبيعي أن يكون الصدام حتما لازما، فالشعوب شبت عن الطوق، ولابد لها من أن تقول كلمتها، وأن كلمتها لا تعجب الطغاة، بل وتسليهم ما أعطوه لأنفسهم من صلاحيات وتفرد في الرأي وتجاوز دون مساعلة، فإن الرفض العنيف هو الحل، والقتل هو الحل، والقمع هو الحل، وكل ما يسلب الشعوب حريتها وكرامتها هو الحل، وكل ما يخنق صوتها ويسكت زئيرها هو الحل، والرصاص الحي يوجه إلى الأمة العذراء هو الحل، والسجون هي الحل، وإسكات الأصوات المنددة بالظلم هو الحل، وفي سوريا نار فتنة وطائفية وتطهير مذهبي، وإذا جحافل الضعف تتناثر في المناطق الحدودية، في رحلة لجوء جديدة، والعدو هذه المرة ليس غريبا، إنه ابن الأمة التي غذته ورعته صغيرا، وسودته كبيرا، وسلمت إليه أمرها، وائتمنته على مقدراتها وإرثها ومستقبلها وكيانها، وهكذا يطرد الرعاة رعيتهم ويقتل الحكام شعوبهم وينقلب الجندي الموكل بحماية المال والنفس والعرض والأرض والحربيات إلى مستأسد يدوس أهله بالحذاء ويركل حرفيتهم بقدمه التي تخطو على أجسادهم المنكهة خطوات العبيد الأذلاء المأمورون بخلع رداء الكرامة الجهادية، والشرف العسكري ليرتدي ثوب ذئب غادر، موجها سلاحه لصدور أبناء وطنه العارية، دون تمييز بين مقاتل وشيخ وطفل وامرأة، الشتائم منكرا عليهم أن يطالبوا بحقوقهم السلبية المشروعة التي كفلها لهم شرع ربهم ومواثيق الإنسانية وحتى قوانين بلادهم المعطلة.

ويشاهد العالم أجساد الأطفال المحروقة الممزقة المعنابة ووجوههم البريئة، ويندى جبين الإنسانية لما يحدث وتنكس الرؤوس العاجزة في خجل من أولئك الأبطال ألا تمتد أيدي الأمة إليهم بالنصرة، وتوجف القلوب المؤمنة خوفا من غضب الله أن يطال الأمة بعذاب وهي تستكين لما يجري في مشارق أرض الإسلام وغاربها.

فيما أهل مصر صبرا فالنصر صبر ساعة، وما أهل سوريا صبرا فالنصر مع الصبر، وما أهل ميانمار صبرا فإن موعدكم الجنة إن شاء الله وما أيتها الأمة في مشارق الأرض وغاربها، والتي انتظرت طويلا نور فجرها الوليد لا تجزع [فشمسنا لم تغرب بعد] وليلنا لن يطول وقيننا لن يعصى على مطرقة الطارقين لأبواب الحرية، ففي كل مطلع شمس لنا وليد، وفي كل انبثاق فجر فينا شهيد، وعلى كل طود شامخ لنا بيرق، ترفعه طائفة ثابتة على الحق لا يضرها من عادها إلى يوم القيمة.

وصبرا صبرا أيها القابضون على الجمر، ترتبون نسائم الحرية القادمة، مع كل دفقة من دم شهيد، فللحرية ثمن، وللكرامة موقف، ولل الحق حراس، وإنه آن الأوان لكي ترفع الوصاية عن الشعوب من قبل تلك الأنظمة التي لاتحکم إلى شرع إلهي، ولا قانون دولي، ولا إلى حكمة الحوار، أو دراسة المعطيات ولا احترام لمكونات الشعوب.

إن البلطجة والقتل والتنكيل، ما عادت تشكل عائقا أمام الشعوب الحرة الباحثة عن العزة والكرامة، فلقد صار نشيد الأمة وشعاراتها {متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراها} اللهم عجل نصرك وفرجك لهذه الأمة يا رب العالمين

المصادر: